ماهية العمل ما بين المنظور الإسلامي والنظرية البولتكنيكية

إعداد الباحثين

د/ فهد بن عائض القحطاني

أستاذ أصول التربية المشارك

جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية

Faqhtani@uqu.edu.sa

الباحث/ حسين بن غفره القحطاني

باحث دكتوراه قسم اصول التربية - جامعة الملك خالد

المملكة العربية السعودية

g.hussain.salem@gmail.com

تاريخ الاستلام: ٢ ديسمبر٢٠٢٣ تاريخ القبول: ١ يناير٢٠٢٤

تاريخ النشر: يناير٢٠٢٤

المستخلص:

هدفت الدراسة الحالية إلى بيان ماهية العمل في النظرية البولتكنيكية، وإبراز ماهية العمل من منظور التربية الإسلامية، وتقديم رؤية نقدية لبيان أوجه القصور التي احتوت عليها النظرية البولتكنيكية في ضوء ماهية العمل في التربية الإسلامية، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي الاستنباطي، كما توصلت الدراسة عدد من النتائج منها: أن أبرز النقد الموجه لتلك النظرية التركيز على المجتمع أكثر من الفرد، وما يهمها هو المجتمع في المقام الأول، تبع ذلك أنها شديدة التطرف تجاه العمل، أي تقدم العمل وتجعله فوق كل اعتبار، تلى ذلك أن المنهج في نظرية البوليتكنيكية يرفض الدين وينكره، عقب ذلك أن النظرية البولوتكنيكية تنكر وجود الحقائق المطلقة، وإن وجدت فإنها تتأثر بنتائج تطور المعرفة، وهذا يتنافى مع الحقائق المطلقة التي يؤمن بها المسلم: كوجود الله سبحانه خالق كل شيء، أيضا اهتمام النظرية البولوتكنيكية اهتمامها بالطرق التطبيقية التي تعتمد الممارسة والتجريب مع إهمال الطرق النظرية، بجانب معايير التقويم إلزامية محددة من قبل السلطة العليا في البلاد. ويعتبر وسيلة أساسية لتحديد مصير الفرد التعليمي.

الكلمات المفتاحية: العمل – العمل في الإسلام – النظرية البولوتكنيكية.

the concept of work in the polytechnic theory

Abstract:

The current study aimed to clarify the concept of work in the polytechnic theory, and to highlight the concept of work from the perspective of Islamic education, and to provide a critical vision to show the shortcomings contained in the polytechnic theory in the light of the concept of work in Islamic education, The study also reached a number of results, including: The most prominent criticism of this theory is the focus on society more than the individual, and what matters to it is society in the first place. The polytechnic theory rejects and denies religion. After that, the polytechnic theory denies the existence of absolute truths, and if they exist, they are affected by the results of the development of knowledge, and this contradicts the absolute truths in which the Muslim believes: such as the existence of God Almighty, the Creator of everything. Practice and experimentation with neglect of theoretical methods, beside mandatory evaluation standards determined by the supreme authority in the country. It is considered an essential means to determine the educational destiny of the individual.

Keywords: work – work in Islam – polotechnic theory.

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلقد مجد الإسلام العمل، ورفع قيمته، وحث عليه، وجعله فريضة من فرائضه، وربط به كرامة الإنسان، والنصوص الشرعية في الكتاب والسنة جاءت مؤكدة على ذلك، يقول الله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}. (سورة التوبة: آية١٠٥).

وإن المتأمل في سيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليجد أنهم مارسوا العمل وهم أفضل الخلق وأصفياء الخالق ، وهذا يدل على شرف العمل ، وأهميته في حياة الإنسان ، فهم بجانب المهمة الشاقة التي كلّفوا بها ؛ نجد أنهم لا ينتظرون إحساناً أو معروفاً من أحد ، فالله سبحانه وتعالى أمرهم بأن يعملوا وفق السنة الإلهية في الكون ، على أن يقوموا بأنفسهم في تحصيل رزقهم ومعاشهم ،" وقد بين الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام أنه كان يصنع الدروع ، وكان أيضاً يصنع الخوص ، وكان يأكل من عمل يده، وكان آدم حراثاً، ونوح نجاراً، ولقمان خياطاً، وطالوت دباغاً، وقيل سقاءً، فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس ". (القرطبي ١١/٣٢٠-٣٢١)، محمد قادري ص ١٣٨).

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حين مارسوا الأعمال المهنية، دل هذا على أنه لا يوجد عمل محتقر طالما أنه في دائرة المباح، كما أن في عمل الأنبياء والرسل دافعاً لاستنهاض همم العاطلين، الذين سلموا أنفسهم للبطالة والاتكالية على الغير، وإن في أمر الرسل بالعمل، ودخول أتباعهم في هذا الأمر، أعظم دلالة على أن الدين يكافح البطالة والاتكالية، وأنه لا رهبانية في الدين؛ رهبانية من شأنها القعود في الأديار والصوامع، والانقطاع للعبادة، والإعراض عن الدنيا وترك العمل، وإنتظار صدقات المحسنين، وحسنات المتبرعين.

وإن الإسلام لما أمر بالعمل، لم يكتف بذلك فقط؛ بل إنه نظر في مخرجات هذا العمل ونتائجه وإنتاجه، فرغب إلى مبدأ أصيل في العمل، لا يتخلى عنه العامل الملم في عمله، وهو مبدأ إتقان العمل وتجويده والرقي به نحو الإبداع، يقول الرسول "عليه أفضل الصلاة والسلام " (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه). (أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم (٤٣٨٦).

كما تشكل المجتمعات الإنسانية قوالب فكرية متنوعة، ذات تعدد ثقافي واجتماعي، تظهر انعكاساته بالتأكيد على واقع الحياة بشكل كلي. وتظهر ملامح هذا الفكر في العادات والتقاليد وطبيعة المعاملات والعلاقات، ولذلك يستطيع المتابع أن يصف أي مجتمع إنساني بصفات وخصائص واعتقادات سائدة لا يشترك فيها معه أحد، ويمكن القول إن هذه الطبيعة الحياتية لمجتمع ما إنما هي انعكاس فكري فلسفي لمعتقدات ترجمها المجتمع إلى ممارسات تطورت حتى شكلت لأفراد المجتمع العديد من القناعات التي يصعب تغييرها أو إعادة تكوينها. (الغامدي، ص٣).

ولما كان العمل قائماً على العلاقات بين الناس، وفيه أخذ وعطاء، وتبادل للمنافع بين الناس؛ أكد الإسلام على ضرورة تعزيز القيم الأخلاقية في العمل، وبيّن أن الدين هو المعاملة، لما في الأخلاق من أهمية بالغة في حفظ ضرورات الحياة الخمسة – الدين والعقل والعرض والمال والنفس – فهي بمثابة الركن الحصين والدعامة القوية لبناء المجتمع الإسلامي الآمن.

إن الفلسفة الماركسية الشيوعية هي أساس نظرية المنهج البوليتكنيكية (الفنون المتعددة) أو النظرية التطبيقية. ويقول على مذكور (١٩٨٤م، ص ١٩١ –١٩٢) " يعتقد الماركسيون أن العنصر الجوهري لحياة أي مجتمع هو العمل. فالعمل يزود المجتمع بالوسائل المادية للسيطرة على الطبيعة، ولصنع الأدوات والوسائل وخلق الحياة الثقافية والقوى الإنتاجية في المجتمع هي أدوات الانتاج، وأدوات الانتاج هي الوسائل المادية والعمال أيضاً، فالإنتاج عمل اجتماعي يأتي نتيجة للنشاط التعاوني للإنسان، والقائم على لتنظيم العمالة أسباب التغير الاجتماعي لا توجد في عقول الناس وأفكارهم، وإنما توجد في ديناميكية العملية المادية"

حيث إن النظرية البولتكنيكية هي أحد نظريات المنهج، ويطلق عليها أيضا النظرية التطبيقية، ويرجع أصلها إلى الفكر الماركسي الذي ينسب إلى كل من الفيلسوفين الألمانيين "كارل ماركس" و "فريدريك إنغلس". (رزوقي والمسعودي ٢٠٢٠).

وقد استحضر ماركس الدين وتأثيره في حياة الناس، لكنه انتقد التدين المرضي الذي يشل إرادة الإنسان ويعطل التغيير، ومقولة الدين" أفيون الشعوب" إلا صيحة نقدية ضد واقع الظلم الكنسي، حيث رسخت معظم المذاهب الكنسية بنية الظلم وأصلت له انطلاقا من نصوص تلاعب بها الناس لما أخضعوها لرغباتهم المؤقتة وأفسدوها بتأويلاتهم النفعية. ففي نظر ماركس يكون الدين والسلطة السياسية والقضائية والتعليم مكونات ثلاث لعناصر الاستغلال الطبقي في المجتمع. مع العلم أن ماركس ينحدر من أسرة يهودية متدينة تعرضت للاضطهاد من طرف المسيحيين فأعلنت اعتناقها للمسيحية حفاظا على حياتها، ولعل ذلك الظلم المكبوت انفجر نقدا للدين برمته.

فماركس لم يدرس الإسلام مثل ماكس فيبر وغوته مثلا، فبقي وفيا للتحليل المادي الميكانيكي والواقع المتردي للكنيسة والدلالة المتحيزة للمعاجم مما جعل النظرية تقصر عن الإحاطة بماهية الوضع البشري في شموليته وعمقه وتركيبه، ومع ذلك لا يمكن إنكار انتباهه إلى ظاهرة استغلال الدين في تأبيد الظلم وتأييد الطبقية.

يعتبر الماركسيون عموما أن الدين" يزيغ باهتمام الناس عن مشاكل ما قبل الموت إلى الاهتمام بما بعدها ويصرف وجهتهم عن مصيرهم الاجتماعي إلى مصير الآخرة وهكذا يحول الدين بين الناس وبين المطالبة بحياة كريمة والنضال من أجلها. (ياسين عبدالسلام، ص٢٠)، غير أن هذا الانحراف ليس هو روح الدين أصلا، وليس من الإسلام في شيء. ولا يصح أن يقود هذا التحريف التاريخي إلى تطرف مضاد وإلحاد معلن يُنكر الوحي والنبوة والآخرة، فيكون هم العبد الدنيا ومعركته الدنيا ونهايته الدنيا؟ أليس في المسلمين عقولا تبين للناس حقيقة الإسلام الذي جاء ليحرر الناس من جميع العبوديات إلا الله وحده بلا شريك؟ الا يمكن تجديد فهم الدين وإزالة الغبار عن صفائه وتطبيق عدله وإحسانه بما يستوعب المطالب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، المادية والروحية، ولا يلغيها أو يعطلها، حتى يسعد الإنسان سعادة ممتدة من الدنيا إلى الآخرة؟

إن هذا البحث يسعى للقيام بمقارنة علمية بين المنظور الإسلامي للعمل والنظرة العملية المادية في النظرية البولوتكنيكية.

مشكلة الدراسة:

إن الاسلام أعطى للحياة الدنيا حجمها الحقيقي من الاهتمام، وطالب الانسان أن يعمل فيها، وأن يجد في السعي في طلب الرزق، ليؤدي وظيفته التي من أجلها خلقه الله تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ). (الملك، ١٥).

والعمل قيمة من قيم الإسلام الجليلة، ودعوة الاسلام الى العمل دعوة فريدة، لا تماثلها دعوة أخرى في أي فلسفة، الفلسفات، ولافي أي عقيدة من العقائد ولا في أي نظام من الأنظمة، حيث أنها دعوة الى العمل للدنيا والآخرة، اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا.

إن تبني الفلسفات الغربية دون إخضاعها للنقد والفحص وتمحيص الجيد منها والرديء تجعلنا نخضع، كما يقول المسيري، إلى امبريالية المقولات الغربية ونسقط في التبعية الإدراكية النابعة من الموضوعية المتلقية التي تشجع على النقل دون إعمال العقل. (المسيري، ٢٠٠٩)؛ لذا هناك حاجة إلى استخدام النقد في مواجهة هذه النماذج المسيطرة.

أسئلة الدراسة:

١. ما مفهوم العمل في النظرية البولتكنيكية؟

٢. ما ماهية العمل من منظور التربية الإسلامية؟

٣. ما أبرز أوجه النقد على النظرية البولتكنيكية في ضوء ماهية العمل في التربية الإسلامية؟

أهداف الدراسة:

١. بيان مفهوم العمل في النظرية البولتكنيكية.

٢. إبراز ماهية العمل من منظور التربية الإسلامية.

٣. تقديم رؤية نقدية لبيان أوجه القصور التي احتوت عليها النظرية البولتكنيكية في ضوء ماهية العمل في التربية الإسلامية.

أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية الدراسة في جانبين: أحدهما نظري يتمثل في الكشف عن مركزية العمل في الإسلام دراسة مقارنة مع النظرية البولتكنيكية، أما الجانب (التطبيقي) فإن أهمية الدراسة تكمن في كونها تتناول جانبا تزخر به مصادر التربية الإسلامية وهو مركزية العمل في الإسلام، إضافة إلى أنها دراسة تأصيلية ستسهم في التأصيل الإسلامي للعمل، كما تعد هذه الدراسة – في حدود علم الباحث – أول دراسة تستهدف تقديم رؤية نقدية للعمل عند النظرية البولتكنيكية في ضوء مفهوم العمل في التربية الإسلامية.

حدود الدراسة:

ليس للدراسة حدود زمانية أو مكانية وثمة حدود موضوعية وهي العمل عند النظرية البولوتكنيكية ونقده في ضوء ماهية العمل في التربية الإسلامية.

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي؛ من خلال استخدام الطريقة الاستنباطية البحثية.

مصطلحات الدراسة:

تعريف العمل لغة:

العمل في اللغة العربية: المهنة والفعل، وجمعه أعمال. والعامل: هو الذي يتولى أمور الرجل في ماله وملكه وعمله، ومنه قوله تعالى: (والعاملين عليها). (سورة التوبة، ٦٠). وهم السعاة الذين يأخذون الصدقات من أربابها. (لسان العرب لابن منظور، مادة عمل).

تعريف العمل اصطلاحاً:

والعمل في الاصطلاح: هو كل نشاط جسمي أو عقلي يقوم به الإنسان بهدف الإنتاج في مؤسسة حكومية كانت أو خاصة، أو في حرفة، أو مهنة. (عبدالمجيد والحياري، ص٩).

ومن هذا التعريف يتبين أن للعمل ركنين أساسيين كما ذكرها الرازي هما: النشاط، والإنتاج، فالنشاط هو لب العمل، سواء أكان نشاطاً جسدياً، أم ذهنياً، والإنتاج قد يكون مادياً كصناعة شيء ما، أو معنوياً كالوظائف الكتابية والحراسة وغيرهما. (أحكام القرآن).

النظرية البولتكنيكية: (Polytechnicalisation Theory) هي من حيث الأصل مركب إضافي، وينقسم هذا المصطلح الإنجليزي (Polytechnicalisation) إلى قسمين:(Poly) وتعني (متعدد)، و(Technicalisation) تعني بالعربية (فنون)، ليكون تعريبها "نظرية الفنون المتعددة" أو كما يطلق عليها بعض التربويين ب " النظرية التطبيقية" وتشير إلى تحويل محتوى التربية إلى اتجاه الفنون والتطبيقات المتعددة، بحيث لا ينفصل الجانب العلمي النظري عن جانب التطبيق العملي، وذلك من منطلق وجوب النظر إلى كل جانب من جوانب المدرسة في ضوء علاقته بالحياة الإنتاجية للمجتمع. (سعادة وإبراهيم، ٢٠١٤،٤٢٠). وتؤكد ربط التعلم بالعمل المنتج، بسبب التغيرات الأساسية في وسائل الإنتاج وتطور العمل (المكاوي، ٢٠٠٦، ٤٧).

الدراسات السابقة:

دراسة الشهراني (٢٠٢١م) بعنوان العمل في الإسلام قيمته ماهيته شروطه: هدف البحث إلى بيان قيمة العمل في الإسلام، وكونه قيمة من القيم التي حث الإسلام عليها، ورغب فيها بشتى الوسائل، واعتبر هذا العمل لا انفصام بينه وبين الأخلاق، بل هما مترابطان ترابطاً وثيقاً، فلا قيمة للعمل بلا أخلاق، بل إنه يتحول إلى عمل ضار إذا تجرد من الأخلاق، ويصبح عملاً مادياً لا روح فيه، ولا نفع للبشرية. نعم إن العمل والأخلاق قرينان لا يفترقان وفق النظرة الشمولية في الإسلام، وهذا ما حاولنا واجتهدنا في إبرازه في هذا البحث الموسوم بـ (قيمة العمل). وقد بين هذا البحث ما يلي:

العمل في الإسلام قيمته ماهيته وشروطه ثم ذكر ماهية العمل في الإسلام ولبيان مكانة العمل والحرف والعاملين أورد البحث أنواع المهام وَالصَّنَاعَاتِ والحزب الواردة في القرآن الكريم على سبيل الاختصار بذكر النوع، واسم السورة التي ورد فيها، ورقم الآية طلبا للاختصار وكذلك من السنة النبوية الصحيحة ثم ختم البحث بشروط قبول العمل.

دراسة رزوقي والمسعودي (٢٠٢٠م) بعنوان فاعلية النظرية التطبيقية في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الجغرافية: هدف البحث الحالي إلى معرفة فاعلية النظرية التطبيقية في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الجغرافية. وقد اعتمد الباحث تصميما تجريبيا ذا الضبط الجزئي بين المجموعتين التجريبية والضابطة، وبلغ المجموع الكلي للمجموعتين (١٢)، واستخدم الباحث الوسائل الإحصائية الآتية: اختبار (t-test) لمينتين

مستقلتين ومربع كاي ومعادلة قوة تمييز الفقرة. وأهم النتائج ظهر تفوق المجموعة التجريبية التي درست على وفق النظرية التطبيقية على المجموعة الضابطة التي درست المادة مدونها، وذلك بفارق نتائج الاختبار.

دراسة علاء ومحلا (٢٠١٩م) بعنوان أسس المادية الجدلية وتطبيقاتها: يهدف البحث إلى تحليل الأسس الفكرية والثقافية لفلسفة ماركس، وكيف أفضت في المحصلة، إلى تكوين المنهج المادي الجدلي الذي استطاع من خلاله فهم التاريخ والإنسان والمجتمع، إلا أن ذلك الفهم ما هو إلا مقدمة ضرورية التغيير العالم وإعادة بناء الإنسان في كليته الإنسانية بعد تصالحه مع ذاته ومع الآخر الطبيعة، وهذا ماله من سبيل إلى التحقق إلا في المجتمع الشيوعي بعد تحطيم البروليتاريا لبقايا النظام البرجوازي كما يزعم ماركس. من هنا اختلف منظرو الماركسية في كيفية تطبيقها بين متشدّد للنص الماركسي وآخر مؤوّل قد يكون معتدلاً أو متساهلاً، وهذا ما سيظهره البحث من خلال تطبيق النظرية الماركسية على أرض الواقع. وقد استخدم الباحث المنهج التحليلي المقارن، ومن أبرز نتائج هذا البحث تسليط الضوء على أهم معالم المادية الماركسية، أصولها مصادرها، تطبيقاتها، فتبين لدينا أن الفلسفة الماركسية على الرغم من عبقرية مؤسسها، ماركس، فإنَّه لم يبتكرها من العدم، بل استقى أهم مصادرها من الفلسفات السابقة عليه، ومن التطورات التي حققتها العلوم في عصره، وخاصة على صعيد الاقتصاد والسياسة والتاريخ.

دراسة عباس (٢٠١٩م) بعنوان الثقافة والسوسيولوجيا في النظرية الماركسية: يهدف هذا البحث إلى الاطلاع على التحول الجذري الذي طال مفهوم الثقافة داخل النظرية الماركسية، فهنا لم تعد الثقافة مجرد ترف فكري، كما لم تعد مجرد تعبير عن الأنثروبولوجيا وإنما أصبحت جزءاً أساسيا لا يتجزأ. عملية العمل المنتج على المستويين الاقتصادي والثقافي. وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي، ومن أبرز نتائج البحث بيان معنى الثقافة ومعنى الحضارة في الفلسفة الماركسية مبيناً الفصل بين ما هو ايديولوجي وبين ما هو ثقافي في مفهوم الحضارة بحيث لا يتم الخلط بين مفهوم الايديولوجيا الماركسي ومفهوم الحضارة، وقد حرصنا على الكشف عن النظريات الحديثة داخل الماركسية نفسها من أجل الابتعاد عن الخلط اللاتاريخي بين ما هو حضاري وما هو ايديولوجي بالدرجة الأولى حتى وأن كان هذا الفصل هو فصل ابستمولوجي أكثر مما هو فصل انطولوجي.

دراسة الشريف و فاضل (٢٠١٨م) بعنوان بعض أخلاقيات العمل في الإسلام مقارنة بمبادئ العلاقات الإنسانية وأخلاق العمل في نظام الخدمة بالمملكة العربية السعودية: هدفت الدراسة إلى دراسة ومناقشة بعض أخلاقيات العمل في الإسلام مقارنة بمبادئ العلاقات الإنسانية وأخلاق العمل في النظام الخدمة المدنية بالمملكة العربية السعودية، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي الاستنباطي المقارن، وتمثلت الأداة في التحليل الجملة من الوثائق والمراجع، وبينت نتائج الدراسة أن الإسلام قد سبق المدارس الحديثة في مجال العلاقات الإنسانية وأخلاقيات المهنة.

دراسة الفراك (٢٠١٦م) بعنوان في نقد ماركس والفلسفة الماركسية: هدف البحث إلى بيان معالم النظرية الماركسية ونقدها وقيمة العدل عند ماركس ومشكلة ماركس مع الدين وقانون التطور الخطي عند الماركسية، واستخدم الباحث المنهج الوصفي النقدي.

دراسة أبو شعيرة (٢٠١٠م) بعنوان التربية المهنية بين الفكر التربوي الإسلامي والفكر التربوي الغربي

المعاصر: هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على التربية المهنية في الفكر التربوي الإسلامي والفكر التربوي الغربي المعاصر، وإبراز اهتمام المربين المسلمين والمعاصرين في مجال التربية المهنية بغرض الوصول إلى صورة توفيقية تجمع أفضل ما في الفكرين بحيث تتمثل فيها الأصالة والمعاصرة، واستخدم الباحث المنهج التاريخي مستعينا بالوصف والتحليل، وقد خلص إلى أن النظرة الإسلامية والمعاصرة للتربية المهنية شاملة لجميع أنواع العمل، وقد اشتملت على كثير من المبادئ التربوية كالجمع بين النظرية والتطبيق، والتوجيه المهني، وتقدير التخصص، والإعداد المهني والتأكيد على الأسس الأخلاقية التي تقوم عليها المهن، وتقسيم العمل ومحاربة البطالة والكسل، وإتقان العمل، وإتاحة الفرصة للمرأة للعمل، كما أظهرت الدراسة اتفاق الفكر التربوي الغربي المعاصر مع كثير من المبادئ التربوية المهنية في الفكر التربوي الإسلامي، مما يدل على أن كثيراً من هذه المبادئ كان لها جذور متأصلة في الفكر التربوي الإسلامي.

التعقيب على الدراسات السابقة:

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الدراسات الحالية والدراسات السابقة مما يأتي:

تناولت الدراسة الحالية العمل في الإسلام دراسة مقارنة مع النظرية البولتكنيكية، واتفقت الدراسة مع دراسة كلاً من دراسة الشهراني (٢٠٢١)، ودراسة الشريف (٢٠١٨)، ودراسة أبو شعيره (٢٠١٠)، من حيث تناولها العمل في الإسلام.

واتفقت مع دراسة رزوقي والمسعودي (٢٠٢٠)، دراسة علاء ومحلا (٢٠١٩)، دراسة عباس (٢٠١٩)، ودراسة الفراك (٢٠١٦)، من حيث تطرقها للنظرية البولتكنيكية أو الفلسفة الماركسية التي تعتبر الإطار الأساسي للنظرية البولتكنيكية وإحدى تطبيقاتها في المنهج.

كما اتفقت الدراسة الحالية مع معظم الدراسات السابقة في اتخاذ المنهج الوصفي أسلوبا للبحث عدا دراسة رزوقي والمسعودي (٢٠٢٠)، استخدما المنهج التجريبي.

مجالات الاستفادة من الدراسات السابقة:

في ضوء عرض الدراسات السابقة استفاد الباحث من الاطلاع على بعض المصادر العربية والأجنبية والدراسات الثرية المتنوعة التي تناولت كلاً من أهداف العمل في الإسلام و النظرية البولتكنيكة، وساهمت في تكوين تصور شامل

لموضوع الدراسة مكن الباحث من الوقوف على مفاهيم العمل في الإسلام و النظرية البولتكنيكية، كما أن الدراسات السابقة كانت معززة للدراسة الحالية مع وجود اختلافات في المنهج والعينة إلا أنها مكنت الباحث من السعة في الاطلاع في كافة جوانب الدراسة، و أعانت على تحديد منهج الدراسة والمتغيرات المناسبة لها، وساعدت في تكوين محتوى الإطار النظري للدراسة، و كوّنت تصور جيد للدراسة الحالية من ناحية المفاهيم والإجراءات و المناسبة للدراسة.

-الإطار النظري:

إن أهم شيء تقوم عليه هذه الحياة هو العمل، عمل كل إنسان في مجالات الحياة، والعمل في ذاته حركة، والحركة دليل الحياة، والسكون دليل الموت. لذا لا يمكن أن تستقيم الحياة بغير عمل، كما لا يمكن أن تنتظم أية حياة بغير عمل طيب متقن. ومن أجل ذلك خلق الله الإنسان وفي طبيعته حب العمل والسعي، لكي يعيش ويعمر أرضه ويستغل خبراتها ويستخرج كنوزها ومكوناتها. فالعمل في حد ذاته قاعدة طبيعية وليس بفضيلة أخلاقية، وإنما يلحق الفضل من الباعث وعليه والقصد منه، فالإنسان مدفوع بطبعه وغريزته وفطرته إلى أن يحفظ ذاته ليعيش، وحفظ الذات إحساس طبيعي غير أن الإنسان له شخصيتان أحداهما ذاتية والأخرى اجتماعية، فهو بمقتضى الأولى يحافظ على الثانية، وبمقتضى الثانية يوائم بين ذاته ومصلحة مجتمعه (النمر، د.ت، ٥٨).

ومع حب الإنسان للعمل والسعي بطبيعته، إلا أن هناك في المقابل حب المال والراحة والبعد عن عناء العمل وإلقاء ثقله وتبعة عيشه على غيره، إضافة إلى البعد عن بعض الأعمال والتقليل من شأنها، ولو أطلق العنان للناس لوجدناهم يهملون كثيراً منها، حيث النظرة غير الكريمة إليها، لوجود بعض المفاهيم الخطأ.

ولذا فقد اهتم المنهاج الإسلامي بموضوع العمل، فقد ذكر في ثلاثمائة وتسع وخمسين آية مقترناً بالإيمان (عبد الباقي، ٢٠٠٩، ٣٢)، وأكدت أن الإيمان الصادق لابد وأن يترجم إلى عمل صالح، كما عمل على الترغيب فيه، والترهيب من استنكافه من أجل صلاح المجتمع الإسلامي وتقدمه وأوضحت العديد من القضايا ذات العلاقة التي ينبغي من ورائها تحقيق القناعة به أياً كان نوعه والإخلاص والتفاني فيه، والحرص من أجل كرامة أبناء المجتمع الإسلامي.

المبحث الأول: ماهية العمل من منظور إسلامي

يعتبر العمل في الإسلام العنصر الفعال في كل طرق الكسب، وهو يمثل النشاط الدائب والحركة المستمرة في سبيل رفع مستوى المعيشة، ونظراً لأهمية العمل، ودوره في عملية الإنتاج وتسيير دفة الحياة؛ فقد أولاه عناية فائقة، وحفز الناس إليه وأثنى على الماهرين وندب إلى اختيار المتقنين، وحذر القادرين على ألا يركنوا إلى الكسل والبطالة.

إذا كان الإسلام يحفز على العمل، ويدفع الناس إليه لكي يعيشوا في كرامة وعزة، ويترك الحرية لهم في اختيار أي عمل بدني أو ذهني يخدم المجتمع، ويدفع بالأمة إلى طريق التقدم والرقي في كافة المجالات، فقد جعل الإسلام العمل المشروع من أبرز المبادئ التي ينبغي أن يقوم عليها طلب الرزق، فالواجب على كل مسلم تحري العمل المشروع المباح واجتناب جميع الأعمال التي نهى عنها الإسلام وحذر منها، يقول تعالى موجهاً لذلك: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.[البقرة: ١٧٢].

ويقول تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾. [البقرة: ٢٦٧].

فالمسلم مطالب بأن يأكل من حلال، وإذا أنفق فعليه أن ينفق من طيبات ما كسب، ولا يتحقق ذلك إلا بأن يكون العمل الذي اختاره وعمل فيه مشروعاً قد اباحه الإسلام. (بيسوني، ١٤٠٨هـ، ص٣٧١).

يعتبر العمل في الإسلام العنصر الفعال في كل طرق الكسب، وهو يمثل النشاط الدائب والحركة المستمرة في سبيل رفع مستوى المعيشة، ونظراً لأهمية العمل، ودوره في عملية الإنتاج وتسيير دفة الحياة؛ فقد أولاه الإسلام عناية فائقة، وحفز الناس إليه، وأثنى على الماهرين وندب إلى اختيار المتقنين، وحذر القادرين على ألا يركنوا إلى الكسل والبطالة. (الشهراني، ٢٠٢١م، ص٥).

وقد وردت النصوص في التحذير من الاتكال على الآخرين في كسب الرزق، والتنفير من المسألة؛ لما فيها من المكسب البارد الذي يريق الإنسان من أجله ماء وجهه.

فقد ورد عن الصحابي الجليل حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه قال: «سألت النبي فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم سألته فقال: يا حكيم إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع. (أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٢٧٥٠).

وصح عنه أنه قال: لا تلحفوا في المسألة، فوالله، لا يَسْألني أحدٌ مِنكُمْ شَيْئًا، فتخرج له مسألته مني شيْئًا، وَأَنا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فيما أعطيته. (أخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٠٣٨).

وعن أبي هريرة: قال سمعت رسول الله □: «لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره، فيتصدق منه، فيستغني به عن الناس، خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول. (أخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٠٤٢).

وبهذه النصوص النبوية وغيرها، الواردة في التحذير من التسول واحتراف السؤال ، يتبين أن الإسلام يحث على الاعتماد على الذات ، والنهوض بأعبائها ومسؤولياتها وجلب احتياجاتها من المصادر الشريفة، التي تضمن للإنسان كرامته، وتغنيه عن غيره، وتنمي فيه الاعتماد على الذات ، وهذا من أكبر ما يصلح به شأن الفرد وشأن المجتمع وتصل

قيمة العمل في الإسلام مداها حين وجه الرسول الخاتم المسلم ألا يكف عن أداء العمل حتى ولو قامت القيامة ، وذلك في قوله : « إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها ، فليفعل. (رواه أحمد في مسنده برقم ١٢٩٨١، وصحح إسناده على شرط مسلم محققه شعيب الأرنؤوط).

ولقد كانت حياة محمد عليه الصلاة والسلام مدرسة في العمل الجاد المتواصل، فقد عمل في التجارة، ورعي الغنم، وكان يرتق ثوبه بنفسه، ويخصف نعله بنفسه، وكان يشارك أصحابه فيما يقومون به من أعمال. وفي غزوة الخندق على سبيل المثال –كان يضرب بمعوله مشاركا في حفر خندق يحمي جيش المسلمين والمدينة من الجيوش الغازية .

وقد وردت النصوص في التحذير من الإتكال على الآخرين في كسب الرزق، والتنفير من المسألة؛ لما فيها من المكسب البارد الذي يريق الإنسان من أجله ماء وجهه، فقد ورد عن الصحابي الجليل حكيم بن حزام – رضي الله عنه – أنه قال: " سألت النبي – صلى الله عليه وسلم – فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم سألته فقال: ياحكيم! إن هذا المال خضر حلو، فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع "أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٧٥٠). وصح عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " لا تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ، فواللهِ، لا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا، وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ " أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٠٣٨).

ويوضح الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن من لا يعمل ويسأل غيره العطاء يتدنى بقدر نفسه، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: " اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفِقة، والسفلى السائلة " أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٤٢٩).

وقال – صلى الله عليه وسلم:" لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مُزعة لحم " أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٠٤٠)، قال الإمام النووي رحمه الله: " قيل: معناه: يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطاً لا وجه له عند الله، وقيل: هو على ظاهره، فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه؛ عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه، كما جاءت الأحاديث الأُخر بالعقوبات في الأعضاء التي كانت بها المعاصي " شرح النووي لصحيح مسلم ١٣٠/٧.

وعن أبي هريرة: قال سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره ، فيتصدق منه ، فيستغنى به عن الناس ، خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك ، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول " أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٠٤٢)

وبهذه النصوص النبوية وغيرها ، الواردة في التحذير من التسول واحتراف السؤال ، يتبين أن الإسلام يحث على الاعتماد على الذات ، والنهوض بأعبائها ومسؤولياتها وجلب احتياجاتها من المصادر الشريفة، التي تضمن للإنسان كرامته ، وتغنيه عن غيره ، وتنمي فيه الاعتماد على الذات ، وهذا من أكبر ما يصلح به شان الفرد وشأن المجتمع ،ولقد كانت حياة محمد عليه الصلاة والسلام مدرسة في العمل الجاد المتواصل ، فقد عمل في التجارة ، ورعي الغنم وكان يرتق ثوبه بنفسه ، ويخصف نعله بنفسه، وكان يشارك أصحابه فيما يقومون به من اعمال .وفي غزوة الخندق – على سبيل المثال – كان يضرب بمعوله مشاركاً في حفر خندق يحمي جيش المسلمين والمدينة من الجيوش الغازية .

والقصص القرآني يضرب المثال الكثيرة لعمل الأنبياء والرسل، فهذا نوح عليه السلام يعمل في بناء السفن التي ركبها هو ومن معه من المؤمنين، وهذا موسي يعمل أجيراً لدى شعيب عليهما السلام، وهذا داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده، وهذا يوسف كان يعمل لدى فرعون.

ونستبين قيمة العمل في الإسلام من توجيه الله لمريم – البتول – وهي في المخاض ، وهو حال وهن وضعف وخوار قوة ، يأمرها ربها وهي على هذا الحال بأن تهزّ إليها بجذع النخلة فتتساقط عليها رطباً جنيًا لتأكل وتشرب ، هذا مثل مبين لقيمة العمل في الإسلام ، فمع قدرة الله على أن يُنزل على مريم الرطب الجني دون عناء منها ، وهي المجهدة بمخاض وليدها ، إلا أنه سبحانه وتعالى يأمرها بأن تبذل جهداً في هز النخلة – بحوله وقوته – كي تحصل على ما تتقوى به على ما هي فيه .

كما يتضح لنا أن العمل من أسس الحياة وفق منهج الدين الإسلامي، ففي كتاب الله الكريم نجد الأنبياء والرسل، وقد ضربوا المثال في العمل بأنفسهم حتى يكونوا لنا قدوة، ويبين القرآن لنا أن العمل أساس الحياة وأن الإحسان فيه طريق للمثوبة والأجر.

ماهية العمل في الإسلام:

إن الناظر في الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، يلحظ أن طلب العمل جاء عاماً مطلقاً غير مقصور على عمل معين، وغير مقيد بشيء سوى الحل الشرعي، وعلى هذا فإنه يشمل جميع الأنشطة الاقتصادية، ومختلف أنواع المعاملات والمكاسب، مثل التجارة والزراعة والصناعة والشركة والمضاربة والإجارة، وسائر ما يباشره الإنسان من أوجه العمل والنشاط الاقتصادي بغرض الكسب الحلال، ما دام يرمي إلى تحقيق مصلحة الإنسان، وتحقيق التقدم والرفاهية له، وما دام يرمي إلى بناء المدينة الموجهة بعدل الله تعالى. (الشهراني، ٢٠٢١، ٢٤٨).

ولقد حظيت الحرف وأصحابها بعناية الرسول – صلى الله عليه وسلم، فقد فصل في فضائلها، والتقى بأربابها، فدعا لهم وأرشدهم، وكان يستشهد بهم في حديثه، فيشبه بعض الأعمال لصالحات وأضدادها من الأعمال السيئة بحرف معروفة، كحامل المسك ونافخ الكير، وكان يتكلم مع كل صاحب حرفة بما يتعلق بحرفته.

ومن الواضح أنه ليس هناك عمل حقير في المفهوم الإسلامي للعمل فإن كل عمل يقوم به الإنسان فهو عمل جليل، مادام مباحاً ويسد خلته وعوزه ويكفه عن مسألة الناس ، وبناء على ذلك فإن قيمة الإنسان وإنسانيته محفوظة لا تنقص بسبب ما يباشره من عمل ، وإن عده بعض الناس عملاً حقيراً (قادري، ٢٠١٢، ١٤٣) ، وقد كان – صلى الله عليه وسلم – يرعى الغنم لأهل مكة ، فقد روي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :" ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم ، قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٢٦٢)

المفهوم الإسلامي " الشرعي " للعمل:

وقد تعددت تلك المفاهيم حيث نجد أن أحدها يقرر أن " العمل هو كل جهد مشروع يبذله الإنسان، ويعود عليه أو على غيره بالخير والفائدة والمنفعة، سواء أكان هذا الجهد جسيماً كالحرف اليدوية، أم فكرياً كالتعليم والقضاء ". (عاقل، ١٩٧٤، ص ٣٤٥).

وعلى ذلك فالعمل في الإسلام يتميز بالشمول والتنوع في كل الفعاليات شريطة مشروعيتها. وهناك تعريف آخر يتشابه مع التعريف السابق في العديد من النواحي، حيث يقرر بأنه " شامل لكل فاعلية اقتصادية مشروعة مقابل أجرة أو مال يؤخذ، سواء أكان هذا العمل جسمياً مادياً كالحرف اليدوية، أم فكرياً كالولاية أو الإمارة، وكتولي وظيفة القضاء وسائر الوظائف، وكمهنة الطبيب " (المبارك، ١٩٨٤، ص ٣٦)، وقد أضاف هذا التعريف مبدأ المساواة بين سائر الأعمال وإعطاء المكانة اللائقة للأعمال اليدوية ومساواتها بالأعمال الفكرية، حتى ينبذ الأفكار الخاطئة والسائدة في ذلك الصدد.

ولا شك أن التعريفين السابقين يعكسان ما جاء في النصوص الأصلية التي استعمل فيها لفظ العمل بالمعنى الاقتصادي حيث نجد أن بعضها يدلّ على معنى العمل الجسمي او اليدوي كالحديث الصحيح القائل:" ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده". (راواه البخاري) " وكذلك فيما جاء في حديث آخر قيل فيه يا رسول الله أي الكسب أفضل؟ قال:" عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور". (التبريزي، ١٩٨٨، ص ٣٢١).

المبحث الثاني: ماهية العمل في ضوء مفاهيم النظرية البولتكنيكية:

يرجع أصلها إلى الفكر الماركسي الذي ينسب إلى كل من الفيلسوفين الألمانيين "كارل ماركس" *Karl Marx* و"فريدريك إنجلز" *Friedrich Engel* ، وقد تبنت روسيا على يد الزعيم لينين (١٨٧٠ م – ١٩٢٤م) الفكر الماركسي، وهو من أبرز المبادئ التي نشأت عليها دولة الاتحاد السوفييتي السابق، ومنها نشأت هذه النظرية، وبناء على ذلك تعد التربية البوليتيكنيكية أو التطبيقية ظاهرة روسية سوفيتية المنشأ، حيث ينظر التربويون السوفييت إلى عملية التربية على أنها استغلال أكبر قدر من قدرات الفرد؛ لكي يفي بمسؤولياته بكونه مواطنا سوفييتيا ، ويرتقي بمجتمعه الشيوعي، ومن هنا جاء ارتباط النظرية البوليتيكنيكية بـ (الفلسفة الماركسية) التي وضع أسسها كارل ماركس (١٨١٨م-١٨٨٣م) و فردريك إنجلز (١٨٩٠م) وأسهم لينين (١٨٧٠ م- ١٩٢٦م) بلور بارز في تطورها ونشرها.

وإن ما يدعم موقف النظرية ما أظهرته أبحاث علماء الفسيولوجيا، وكذلك علماء التربية السوفييت أن الترابط بين الأعمال العقلية والعمل اليدوي له تأثير مفيد على كل من النمو العقلي والجسمي، وأن العمل اليدوي له دور حيوي في التربية الخلقية، وذلك عندما يدخلون في علاقات مع زملائهم، ومع غيرهم في الوظيفة. (سعادة وإبراهيم، ٢٠١٤، ٤٢٠).

وتعتبر "النظرية البوليتكنيكية" من نظريات المنهج التي تبنت أهمية تطبيق المعارف والمهارات المكتسبة من خلال التعليم ووضعت مجموعة المبادئ والأسس لتحقيق ذلك، فقد أوضحت النظرية إلى أن هناك تأثيرا واضحا للمزاوجة والترابط بين العقل والعمل في النمو الجسمي والعقلي للأطفال، إضافة إلى ما يكسبه العمل اليدوي، والعمل الجماعي من قيم اجتماعية واتجاهات أخلاقية للفرد. بذلك تركز هذه النظرية على ضرورة إكساب المتعلمين الاتجاهات الإيجابية نحو العمل والعمل ضمن الجماعة كاحترام العمل والعاملين، وذلك من خلال المزاوجة بين الدراسة والإنتاج النافع للمجتمع، سواء أكان ذلك في الريف أم المدينة، في الحقل أم في المصنع، وتعطي للمجتمع وتنميته اقتصادياً واجتماعياً أولوية في المنهج وبذلك تم ربط التعليم بحاجات المجتمع، وربط العلوم النظرية بالتطبيق التكنولوجي على أرض الواقع، مما يقلل الفجوة بين النظرية والتطبيق لتحقيق نوعاً من الوحدة من التكامل المعرفي كطريقة في التعليم، لذا المنهج يجب أن يكون قائماً على مواد اختيارية وأخرى إجبارية، وتشجيع الأنشطة اللاصفية في المزارع والمصانع حيث لم تعد المدرسة هي المجال الوحيد للتعلم والدراسة. (رزق الله، ص٣).

وهي أحد نظريات المنهج، ويطلق عليها أيضا النظرية التطبيقية، ويرجع أصلها إلى الفكر الماركسي الذي ينسب إلى كل من الفيلسوفين الألمانيين كارل ماركس" و "فريدريك إنغلس" من أبرز أهداف النظرية الربط بين المدرسة والعمل المنتج النافع للمجتمع من خلال الربط بين المعرفة النظرية والمعرفة العملية التطبيقية، الأمر الذي يؤدي إلى اكتساب الأفراد مهارات العمل المنتج من خلال تطبيق ما تعلمه نظرياً داخل المدرسة ومن ثم انخراطهم كل في مجال عمله لخدمة المجتمع وتقدمه ورفعته. (رزوقي والمسعودي ٢٠٢٠).

تعريف البوليتكنيك: تأتي كلمة البوليتكنيك Polytechnic من دمج كلمتين معا (Poly) متعدد، (technic) تقنية، وتعود الكلمتان في أصلهما إلى اللغة اليونانية (حمادة، ١٩٨٥).

ويعرف حمادة (١٩٨٥) التعليم البوليتكنيكي بأنه "التعليم العام، الذي يوفر قاعدة من المبادئ الأساسية، التي تقوم عليها عمليات الإنتاج التي يستند إليها استخدام الأدوات الرئيسة المستعملة في هذه العمليات، ويتميز عن التدريب في مجال الحرف والمهن المتنوعة". التصورات الفلسفية للبوليتكنيكية: للنظرية البوليتكنيكية تصورات فلسفية بشأن الألوهية الكون والحياة والإنسان، والقيم والمعرفة (مذكور، ١٩٩٧)، نستعرضها كالتالي:

أولا: الإله:

أنكرت النظرية التطبيقية الماركسية وجود الله، وآمنت بأنه "لا إله موجود والحياة مادة!" فحتمية المادة، وحتمية التاريخ، وحتمية الاقتصاد، كل هذه الحتميات هي التي تصنع كل شيء، وتخلق كل شيء الكون والإنسان والحياة؛ لذا جاءت النظرية لتكريس هذا الفكر.

ثانيا: الكون:

تعتمد هذه النظرية على الفلسفة الطبيعية الواقعية، والتجريبية الميدانية، وهي ترى أن الكون هو الأشياء الموجودة من حولنا في العالم المحسوس وأن هذا العالم المحسوس هو عالم حقيقي في حد ذاته. وأن هذا العالم والأشياء الموجودة به لا تعتمد في وجوده على إدراك الله أو عقل الإنسان (رفض ما وراء الطبيعة).

ثالثا: الحياة:

تفترض أن الحياة الإنسانية (الجسمية والعقلية والروحية والخلقية حدث طبيعي يمكن عزوه بكل أبعاده الى العمليات الطبيعية. فالطبيعة هي مصدر الحياة وهي مصدر الصدق. ونتيجة للعمليات المستمرة للطبيعة فإن الحياة بكل أبعادها متغيرة، والتغير هدف من أهداف التربية المستمرة.

رابعا: الإنسان:

ترى هذه النظرية أن المادة هي الأصل في وجود الإنسان، فالإنسان مجرد مادة ليس فيه روح، فقد ألغت الماركسية التقسيم الثنائي للطبيعة الإنسانية واعتبرت أن الطبيعة الإنسانية مكونة.

تؤكد النظرية البوليتكنيكية على أهمية الجماعة وكيفية نمو قيمة الفرد من خلالها، فالتربية الماركسية لا تعمل على غرس الفردية وتربيتها أو تأكيدها. كما أن هذه النظرية تقوم على فكرة سلب الإنسان مسؤولية الاختيار والتصرف على أساس الحتمية المادة والتاريخية والاقتصادية والتي تعني أنه ليس بوسع أحد أن يتصرف بغير ما تصرف به بالفعل؛ مما يؤدي إلى سقوط مسؤولية الإنسان الأخلاقية عن أفعاله، فتنحط قيمة الإنسان إلى أدنى درجة.

خامسا: القيم:

إن القيم في النظرية التطبيقية يتم تكوينها بطريقة آلية عن طريق تعليم الخبرات والمهارات المكتسبة من المادة وآلية تكوين القيم هي امتداد لآلية تكوين الخبرات المعرفية والتطبيقية المستمرة. وترى النظرية البوليتكنيكية أن التعليم والتعلم يؤديان إلى تكوين الخيرات المعرفية والتطبيقية وتكرار هاتين يؤدي إلى تكوين قيم الفرد.

سادسا: المعرفة:

المعرفة من وجهة نظر أنصار النظرية البوليتكنيكية وضعت على أساس من الممارسة، ومن نشاط الإنسان المادي الإنتاجي. حيث أن الممارسة هي نقطة: انطلاق وأساس عملية المعرفة ومعيار صحة المعارف على حد سواء، والاعتراف بالعالم الموضوعي وأشيائه وظواهره هو المصدر الوحيد للمعرفة الإنسانية الصوراني. (٢٠١٣) ألغت الثنائية بين النظرية والتطبيق وجعلت العمل المنتج مصدراً أساسياً للمعرفة، فأصبحت المعرفة وظيفة لخدمة الإنتاج (عطية، ٢٠٠٩).

ومفهوم التربية في النظرية البوليتيكنيكية ينطلق من ايديولوجية مفادها أن اتجاه الإنسان نحو العمل بعد أساسا حيويا وأخلاقيا، كما أن الحياة تدور حول أنواع النشاط الاقتصادي. ينظر المربون إلى عملية التربية على أنها تحقيق أقصى نمو ممكن لقدرات الفرد لكي يفي بمسؤولياته كمواطن ويرتقي بنمو مجتمعه (سعادة وإبراهيم، ٢٠١٦).

كما أن قيمة التربية في مدى تمكين المتعلم من أدوات الإنتاج وإلغاء الاحتياجات أي تسخير كل إمكانيات الفرد داخل المجتمع، والتركيز على أن المتعلم عامل منتج؛ أي أن الهدف الأساسي من التربية البوليتكنيكية أن يتعلم الإنسان أن ينتج أكبر قدر ممكن في أقل وقت وبأقل مجهود ممكن (مدكور، ٢٠١٥). أي تحقيق أقصى نمو ممكن لقدرة الفرد على تطبيق معرفته في موقف عملي والقدرة على المشاركة في الإنتاج (سعادة وإبراهيم،٢٠١٦).

ويقوم تنظيم المنهج المدرسي وفقا لتلك النظرية يتم بطريقة تمكن التلاميذ من التعود على المبادئ النظرية الأساسية والمبادئ العملية للإنتاج الحديث والمشاركة في العمل النافع اجتماعيا، لذا يتم تنظيم المواد الإجبارية والمقررات الاختيارية وأنواع النشاط الزائد بحيث تحقق الوحدة بين النواحي النظرية والعملية للإنسانيات وبين العلوم والتكنولوجيا وتعتبر الورش التعليمية من أهم وأيسر الوسائل المتاحة لتطبيق النظرية في المدرسة بشرط أن تكون تلك الورش مرتبطة بالإنتاج الاقتصادي للمصانع والمزارع في المجتمع، إضافة إلى أنواع أخرى من النشاط والمتمثلة في الحلقات الدراسية التكنولوجية والمراكز التكنولوجية للأطفال وقراءة كتب تكنولوجية وزيارة المتاحف. (رزوقي والمسعودي، ٢٠٢٠).

كما يتم تطبيق النظرية التطبيقية في الأنظمة التعليمية الاشتراكية التي مازالت متبقية حتى الآن ففي الصين مثلا يعتمد التعليم على الإنتاج وترتبط النظرية بالتطبيق هذا بالإضافة الى عدم اقتصار التعليم على المدرسة فقط بل يتعداه إلى المصانع والمزارع ووحدات الجيش في المناطق المجاورة إلى جانب ذلك تم تأسيس مصانع صغيرة في المدارس الأساسية والثانوية ويدعى العمال والفلاحون والجنود للتدريس فيها على أساس جزء من الوقت. (سعادة وإبراهيم، ٢٠١١).

المبحث الثالث: أبرز أوجه النقد على النظرية البولتكنيكية في ضوء مفهوم العمل في التربية الإسلامية.

تعود جذور النظرية البوليتيكنيكية في المنهج إلى الفكر الماركسي ولها عوامل أدت إلى قبولها بكونها فكرة تربوية، حيث أنها قامت على أسس الفلسفة الماركسية Marxism. والماركسية هي الأفكار السياسية والاقتصادية لكل من **لكارل ماركس وفريدريك إنجلز**، وتعرف بأنها: العلم الذي يقوم بدراسة قوانين تطور الطبيعة والمجتمع، وهي العلم الذي يصف انتصار الاشتراكية في جميع البلدان (بوليتزر وكافيين، دت، ص ١٥)، وتعرف بأنها " علم يدرس التناسق في العلاقة بين المادة والوعي والقوانين الشاملة للطبيعة والمجتمع والفكر، وتطوير نظرة عالمية، ومنهج للتعرف على الواقع وتغييره " (مرعي، ٢٠١٤م، ص١٢).

يتضح من خلال ذلك أن الإطار العام للفلسفة الماركسية يرتكز على العمل، ويدعو إلى دراسة التطور وفهمه؛ لبناء مجتمع شيوعي جديد كما دعا إليه " ستالين " – وهو محيي الفلسفة ومنفذها الحقيقي، أو من خلال فهم الواقع وتغييره كما ذكر ريان (١٩٩٦م) ومرعي (٢٠١٤م).

ويشير ناصر (٢٠٠٦م) إلى أن أهم المبادئ الأساسية للفلسفة الماركسية: أنها تعبر عن صراع طبقي ومصالح مادية، والأهمية في العمل على تغيير العالم، وليس فهمه، والتاريخ عنده الماركسية عبارة عن صراع بين الطبقات نتيجة عوامل اقتصادية، والاقتصاد و علاقات الإنتاج هما أساس كل ظاهرة اجتماعية، ومحاربة الأديان واعتبارها وسيلة لتحذير الشعوب، وخادمة للرأسمالية والإمبريالية، والأخلاق نسبية، وهي انعكاس لآلة الإنتاج. (ص٣٢٦).

كما أن أبرز مبادئ النظرية البوليتيكنيكية أنها لا تعترف بالألوهية والأديان، وتنظر إلى الكون والمجتمع نظرة مادية بحتة، لا ثنائية فيها بين الجسم والعقل، وأن العقل ما هو إلا شكل من أشكال المادة، وتؤكد هذه النظرية على الاتجاه الاجتماعي في التربية وتنمية قيمة الفرد من خلال الجماعة؛ لأن مصلحة الفرد تتمثل في مصلحة الجماعة، وتشدد على المبادئ العملية الرئيسة لفروع الإنتاج، واستعمال آلات العمل العامة واحترام العمل والسعي إليه؛ لكي بودي الفرد دورة نشيطة في الإنتاج والتقدم التكنولوجي، ويقبل بأي عمل يوكل إليه.

إن الدور الرئيسي للمنهج وفقاً للنظرية البوليتكنيكية هي بناء توجهات إيجابية لدى الأجيال بحيث تقدِّس العمل المنتج الذي يجلب الخير والنفع والتقدم للمجتمع، وهناك عدداً من الصور التي يمكن ممارسة الفنون المتعددة من خلالها كالورش التعليمية بشرط أن تكون هذه الورش مرتبطة بالإنتاج الاقتصادي زراعياً وصناعياً للمجتمع، والاهتمام بالأنشطة خارج الصف وخارج المدرسة ككل، شرط أن تهدف تلك الأنشطة بتنمية اهتمام الأطفال بالتكنولوجيا، وينظم المنهج بشكل عام وفقاً للنظرية بطريقة تمكن التلاميذ من المشاركة في العمل المنتج والنافع للمجتمع، ولا يعني هذا أن النظرية البوليتكنيكية تغفل عن المعارف والمعلومات النظرية بل تؤكد على حفظها وتسميعها واكتسابها بطريقة أكبر من خلال العمل، حيث يركز الطالب على العمل المنتج خارج المدرسة وداخلها. (سعادة وإبراهيم،٢٠١١، ٤٢٢) و (عطية،٢٠٠٩م، ص٥٠)، المنهج فيها عموما يشدد على تزويد الطلبة بالمبادئ العامة للإنتاج الاجتماعي والمهارات المهنية والتكنولوجية. كما إن من أهداف النظرية البوليتكنيكية على ترسيخ المبادئ الماركسية في النظرة إلى الإنسان والحياة.

ومن أبرز النقد الموجه لتلك النظرية التركيز على المجتمع أكثر من الفرد، وما يهمها هو المجتمع في المقام الأول، تبع ذلك أنها شديدة التطرف تجاه العمل، أي تقدم العمل وتجعله فوق كل اعتبار، تلى ذلك أن المنهج في نظرية البوليتكنيكية يرفض الدين وينكره، عقب ذلك أن النظرية البولوتكنيكية تنكر وجود الحقائق المطلقة، وإن وجدت فإنها تتأثر بنتائج تطور المعرفة، وهذا يتنافى مع الحقائق المطلقة التي يؤمن بها المسلم: كوجود الله سبحانه خالق كل شيء.

وعلى الرغم من إيجابيات هذه النظرية، إلا أنها لا تخلو من السلبيات؛ التي ترجع إلى منطلقاتها الفكرية، وطريقة تنظيمها، ومن أهم هذه السلبيات ما يأتي: لم تعطي الأخلاق الأهمية والمكانة المناسبة في المجتمع، ولم تراعي الشخصية الفردية وربطتها بمصلحة الجماعة، احتكرت التعليم والاهتمام به وحضرت هذه المهمة بالحكومات.

ويمكن إيضاح بعض المعتقدات الأساسية للماركسية (الرباط،٢٠١٥)، فيما يلي:

– المادة هي الأصل في وجود الإنسان، فالإنسان مجرد مادة بلا روح (إلغاء التقسيم الثنائي للطبيعة الإنسانية).

– اعتبرت الكون (العالم) حقيقة موضوعية موجودة وجودا مستقلا عن إرادة الإنسان، سواء أدركها الإنسان أم لا والعقل والطاقات الإنسانية الأخرى ما هي إلا وظائف لأشكال دقيقة ومعقدة للمادة، والمادة ليست نتاجاً للعقل، بل نتاجاً للمادة.

– أنكرت هذه النظرية الدين ووصفته بشكل من أشكال الخرافات وعمقت النظرة الإلحادية، بالإضافة إلى أنها تنكر وجود الحقيقة الإلهية فلا وجود لإله ولا وجود لعالم فوق عالم الطبيعة.

– أكدت على أهمية الجماعة وكيفية نمو الفرد من خلالها لأن مصلحة الفرد تتمثل في مصلحة الجماعة، وكل اهتمامها موجه إلى المجتمع.

– ألغت الثنائية بين النظرية والتطبيق وجعلت العمل المنتج مصدرا أساسيا للمعرفة.

ومن أوجه النقد الأخرى التي وجهت للنظرية البولوتكنيكية اهتمامها الطرق التطبيقية التي تعتمد الممارسة والتجريب مع إهمال بالطرق النظرية، بجانب معايير التقويم إلزامية محددة من قبل السلطة العليا في البلاد. ويعتبر وسيلة أساسية لتحديد مصير الفرد التعليمي.

فلو نظرنا إلى العمل في الإسلام وجدنا أنه مفهوماً أشمل لا يقتصر على العمل اليدوي أو العمل الصناعي بأنواعه ومستوياته وأشكاله المختلفة، إذ يتسع ويمتد ليشمل العمل الأخلاقي والسلوكي الإنساني كله والعمل العملي والأدبي والفكري، والعمل بهذا الشمول هو ميدان العمل التربوي كله، كما أنه السلوك المبني على الإخلاق النظرية والعلم النظري، وفي المعنى هذا يقول الله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ}. (سورة البقرة، الآية ٤٤). وفي أية أخرى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُون}. (سورة الصف، الآية ٢).

فإن العمل قد أصبح في ظل النظرية البولتكنيكية مصدراً طبيعياً لحصول الإنسان على ما يصلح أن يكون شيئاً يتعامل به ويجري في الحياة مجرى النفع والتبادل حيث لم يكتف الإسلام بالدوافع الطبيعية التي تدفع الإنسان إلى العمل والضرب في وجوه الأرض ليحصّل حاجاته ويحقق مطامحه وآماله، ولم يكتف الإسلام بهذه الدوافع الطبيعية، فتمسك بها عن السعي والجد، وأقامها في ظل الدعة والسكون، فدعا إلى العمل، وأهاب بأتباعه أن يعملوا، ثم لم يكتف بهذا، بل رفع مكانة العمل والعاملين إلى مقام العبادة والعابدين.

فالمسلم في جهاد مادام في سعي وعمل، وقد أقام له العمل عذراً كعذر المجاهدين في سبيل الله، بل قدّم عذر العامل على عذر المجاهد، وبهذا لا يجد المسلم فرصة يتحلل فيها من هذا الأمر الملزم وهكذا. فالعمل في الشريعة الإسلامية ضرب من العبادة يتقرب به إلى الله، وتكفر به السيئات، وتغفر الذنوب.

النتائج:

– إقرار التربية الإسلامية مبدأ تربويا نادى به الكثير من علماء التربية الحديثة وهو أن من واجب المعلم دراسة استعدادات التلميذ وكشف ميوله لكي يوجهه إلى دراسة ما يتلاءم وقدراته العقلية والجسمية.

– إن التربية الإسلامية كانت سابقة إلى التطرق إلى العمل آداب المهنة وأخلاقها، ويعتبر ما قدمته التربية الإسلامية منذ أكثر من ألف وأربع مائة سنة لبنات أساسية في العمل وإسهاما فعالا في إرســاء قواعدها.

– تأكيد الإسلام على النظرة الإيجابية للعمل اليدوي واحترامه وهذا ما تدعو إليه التربية الحديثة من خلال برامج التعليم المختلفة والندوات والمؤتمرات وبرامج الإعلام.

– إن نظرة الإسلام التي تعد العمل عبادة دافع قوي يدفع الإنسان إلى الإتقان في عمله والإخلاص فيه، ويعد مقصراً إذا تقاعس أو لم يؤد واجبه على الوجه المطلوب.

– إن أحسن عمل هو ما كان خالصاً لله تعالى وموافقاً لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

– تطبيق النظرية البولوتكنيكية في الأنظمة التعليمية الاشتراكية التي مازالت متبقية حتى الآن ففي الصين مثلا يعتمد التعليم على الإنتاج وترتبط النظرية بالتطبيق هذا بالإضافة الى عدم اقتصار التعليم على المدرسة فقط بل يتعداه إلى المصانع والمزارع ووحدات الجيش في المناطق المجاورة إلى جانب ذلك تم تأسيس مصانع صغيرة في المدارس الأساسية والثانوية ويدعى العمال والفلاحون والجنود للتدريس فيها على أساس جزء من الوقت.

– من أبرز النقد الموجه لتلك النظرية التركيز على المجتمع أكثر من الفرد، وما يهمها هو المجتمع في المقام الأول، تبع ذلك أنها شديدة التطرف تجاه العمل، أي تقدم العمل وتجعله فوق كل اعتبار، تلى ذلك أن المنهج في نظرية البوليتكنيكية يرفض الدين وينكره، عقب ذلك أن النظرية البولوتكنيكية تنكر وجود الحقائق المطلقة، وإن وجدت فإنها تتأثر بنتائج تطور المعرفة، وهذا يتنافى مع الحقائق المطلقة التي يؤمن بها المسلم: كوجود الله سبحانه خالق كل شيء.

– اهتمام النظرية البولوتكنيكية اهتمامها بالطرق التطبيقية التي تعتمد الممارسة والتجريب مع إهمال الطرق النظرية، بجانب معايير التقويم إلزامية محددة من قبل السلطة العليا في البلاد. ويعتبر وسيلة أساسية لتحديد مصير الفرد التعليمي.

التوصيات:

– توصي الدراسة بإجراء دراسات تأصيلية مشابهة على النظريات الغربية الحديثة الأخرى مع مقارنتها بالتربية الإسلامية.

– كما توصي بأهمية التعمق في مصادر الشريعة الإسلامية والفكر التربوي الإسلامي ففيهما الكثر وما يغنينا عن غيرها.

المصادر والمراجع:

- ابن رجب (٢٠٠١م). *جامع العلوم والحكم*، المحقق: شعيب الأرناؤوط-إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة.
- أبو شعيرة، خالد محمد. (٢٠١٠م). *التربية المهنية بين الفكر التربوي الإسلامي والفكر التربوي الغربي المعاصر*. مجلة كلية التربية مج ٣ ٤ ٦٥ – ١١٠.
- التبريزي، الخطيب (١٩٨٨م)، *مشكاة المصابيح*، دار العربي، بيروت.
- جعتني، نعيم حبيب (٢٠٠٤م) *الفلسفة وتطبيقاتها التربوية*، دار وائل للنشر: عمان.
- رشوان، محمد (١٤٠٤م) *دراسة الفلسفة المعاصرة*، دار الثقافة.
- سعادة، جودت أحمد، وعبد الله محمد إبراهيم (٢٠١١م). *المنهج المدرسي المعاصر*. دار الفكر، عمان، الأردن.
- علاء رزوقي ومحمد المسعودي (٢٠٢٠م). *فاعلية النظرية التطبيقية في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الجغرافية*. مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٨، العدد ٥.
- عاقل، فاخر(١٩٧٤م)، *التربية قديمها وحديثها*، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت.
- عبد الباقي، محمد فؤاد (٢٠٠٩)، *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*، دار الفكر للطباعة والنشر، ط٢.
- شين، تشو يونغ (٢٠١٣م). *التعليم الجديد في الصين*. مؤسسة الفكر العربي. بيروت، لبنان.
- الشريف، رجاء أحمد وفاضل فاطمة عبد الرقيب. (٢٠١٨م). *بعض أخلاقيات العمل في الإسلام مقارنة بمبادئ العلاقات الإنسانية وأخلاق العمل في نظام الخدمة بالمملكة العربية السعودية*. مجلة العلوم الإقتصادية والإدارية والقانونية مج٢ ،١٥ ٤١ – ٦٢.
- الشهراني، سعد بن علي بن محمد (٢٠٢١م). *العمل في الإسلام قيمته ماهيته شروطه*، مجلة دراسات العلوم الإسلامية، ع٢ ٢١٥ – ٢٤٦.
- عباس، بشرى (٢٠١٩م). *الثقافة والسوسيولوجيا في النظرية الماركسية*. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج٤١ ٥ ١٠٩ – ١١٩.
- علاء الدين غسان محمد ومحلا قيس محمود (٢٠١٩م). *أسس المادية الجدلية وتطبيقاتها*. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية مج٤١ ١ ٦٥ – ٧٧.
- الفراك، أحمد بن صالح (٢٠١٦م)، *في نقد ماركس والفلسفة الماركسية*. مجلة نوافذ ٦٢،١٨٢٦١ – ١٨٩.
- فرج، عبد اللطيف (٢٠١٠م) *نظم التربية والتعليم في العالم*.
- قادري، محمد (). *الإسلام وضرورات الحياة*، دار المجمع للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.
- المبارك، محمد (١٩٨٤م)، *نظام الإسلام – الاقتصاد – مبادئ وقواعد عامة*، دار الفكر، ط٣، بيروت.
- مدكور، على أحمد (٢٠١٥م) *نظريات المناهج التربوية. دار الفكر العربي*، القاهرة مصر.
- موسى، عبد الحكيم (١٤١٨م) *نظرية المنهج في ضوء واقع النظرية التربوية*، الطبعة الثانية.
- نجيب، محمد (٢٠١٢م). *المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق. مكتبة عالم الكتب*، القاهرة، مصر.
- النمر، عبد المنعم (د.ت) *إلى الشباب في الدين والحياة*، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة.